(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
2024 (كانون الاول), مجلد 2,عدد 4 ,الصفحات 21-31

التكامل المعرفي عند السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره)

في كتابه ما وراء الفقه

م.د. محمد جمعة حسين[1]*

[1]وزارة التربية، المديرية العامة لتربية الرصافة الثالثة، بغداد، العراق

الملخص

هناك أمرٌ في غاية الأهمية كامن في كل تلك الإصدارات وهذا الأمر يمكن تلخيصه في جانبين الأول في العطاء العلمي وتحرير العقل وتعميق المعرفة الى درجة تحمّل المسؤولية وعدم الاكتفاء بالأمور السطحية وقد عبّر السيد في أحد دروسه أنا لا أريد حوزة ضحلة وأيضا قال في مقدمة أحد مؤلفاته ما مضمونه إن مؤلفاتي ليست جرائد يعني إنها تحتاج الى التفكّر والتدبّر والقراءة الواعية المركّزة المتعمّقة بمعنى إن الذي يتوقع من هذه المؤلفات أن يقرأها كما يقرأ الصحف والجرائد سوف لن يحصل على شيء....

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي ، السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) ، ما وراء الفقه .

Cognitive integration according to Mr. Muhammad Muhammad Sadiq al-Sadr (may God sanctify his secret) In his book Beyond Jurisprudence

Lecturer Dr. Muhammad Jumaa Hussein[1*]

[1]Ministry of Education , Third Rusafa Education Directorate, Baghdad, Iraq

Abstract:

There is something very important hidden in all these publications, and this matter can be summarized in two aspects: the first is in scientific giving, liberating the mind, and deepening knowledge to the point of bearing responsibility and not being satisfied with superficial matters. The master expressed in one of his lessons, “I do not want a shallow seminary.” He also said in the introduction to one of his works, the gist of which is that my works are not newspapers, meaning that they require contemplation, deliberation, and conscious, focused, and in-depth reading, meaning that whoever expects to read these works as he reads newspapers and journals will not get anything....

Keywords: Cognitive integration, Sayyid Muhammad Muhammad Sadiq al-Sadr (may God sanctify his secret), beyond jurisprudence.

المقدمة:

اعتمد السيد الصدر منهج الأطروحة الذي يبين ترابط العلوم المختلفة وتباينها ككل ، فهي مترابطة في العديد من المفاصل العلمية ولا يوجد فاصل بين علم وآخر ، وبالتالي فإن عرض الأطروحة في كافة مراتب العلوم يمثل الإدراك السليم وتصورات حقيقية للمعرفة ؛ لأنها مترابطة بطبيعتها ، فكثير من الآراء حول نفس الموضوع ، إلى جانب عمومية المعرفة

* **Email address: Mahammedguma566@gmail.com**

نفسها ، وهذا المنهج يعطي فكرة متكاملة لجميع الآراء عند القارئ، وهذا ما نراه بوضوح في كتابه "ما وراء الفقه" قال في مقدمة الكتاب "هذا الكتاب يتناول ما وراء الفقه وليس الفقه نفسه فإن للفقه، كسائر العلوم، ارتباطات بعلوم عديدة ومعلومات كثيرة ، خارجة عن صيغته الأساسية .

ليس فقط الفقه ولكن تقريبًا جميع العلوم وخاصة علم اصول الفقه ؛ من المعروف أنها مرتبطة بعلوم مثل الفقه والكلام والفلسفة والمنطق والحديث واللغة وما إلى ذلك ، وقد أضاف السيد الصدر علومًا أخرى مثل العلوم الطبيعية ، و ما ساعده هو طريقته في الاستنتاج العقلي (الأطروحة) ، والتي تمكن من خلالها من ربط هذه العلوم بطريقة استنتاجية دون المبالغة في ذلك في جوهر الأمر ، ينعكس هذا بوضوح في أبحاثه وكتاباته. وعلى العكس من ذلك لا بد من إدخال هذه العلوم الحديثة في الفقه وأصوله ، ودراستها ومناقشتها ، للوصول إلى المباني الأصولية في تشريع الأحكام واتخاذ القرارات بما يتماشى مع التطور السريع .

المبحث الأّول

التداخل والتكامل المعرفيان في العلوم الإسلامية

مرَّ العالم الإسلامي في العديد من تجارب النهوض الفاشلة، والتي نتجت عن عدم الإلمام بأبعاد الرؤية الكلية الإسلامية، والانحراف عن خلفيتها الحضارية، وأبعادها القيمية؛ فنظم التعليم المبنية على النمط الغربي توصل المعرفة بأسلوب كمي دون تطبيقها في الواقع، حيث استسلمت العلوم العلمية والإنسانية للقوالب المعرفية الغربية، وفرض على المعرفة الإسلامية العزلة عن متطلبات الواقع، وذلك دون محاولة التفاعل بين الجانبين لإحداث التكامل المنشود، والذي يعبر عن تفعيل الرؤية الإسلامية في كل مجالات العلوم؛ فالمعرفة المتكاملة هي التي تجمع بين هداية الوحى والخبرة البشرية، ويتطلب تحقيق التكامل المعرفي الانطلاق من شمولية للتكوين المعرفي، فهناك تقاطعات جوهرية بين مجالات العلوم المختلفة، وذلك من خلال فهم واستيعاب العلوم الحديثة، وتناولها بالنقد والتحليل في ضوء الرؤية الكلية الإسلامية؛ واعادة ترتيبها؛ لتحويل وجهتها إلى التطبيق الإسلامي من خلال بناء نظام علمي يهتدي بنصوص الوحي ومقاصده، وسنن الكون، والخبرة الإنسانية المتراكمة؛ ليحقق قفزة إبداعية تعيد تشكيل الحضارة الإنسانية المعاصرة.

المطلب الأول

مفهوم التداخل المعرفي

لا مراء في كون فكرة التداخل بين المعارف والعلوم قد أضحت ضرورة من ضرورات البحث العلمي في عصرنا الحديث ، نظرًا للتطور الكبير الذي يشهده العالم اليوم في مختلف الميادين وعلى كافة الأصعدة حتى تنفتح العلوم على بعضها البعض ، وتنتقل الأفكار من حقل علمي إلى آخر بسلاسة كبيرة ، سعيا إلى تحقيق رؤية شمولية وعميقة وتدقيق البحث ، ومن ثم استخلاص الحلول بخصوص الإشكالات المطروحة ولا ريب أيضا في كون النص القرآني من أكثر النصوص والخطابات التي تستلزم مقاربتها تنزيل فكرة التداخل المعرفي، فهو نص تتجاذبه معارف عديدة، يعضد بعضها بعضا، ويأخذ بعضها بأطراف بعض، ويخدم بعضها بعضا، فكان لزاما على من رام فك مغاليقه وإدراك معانيه، والنفاذ إلى مراميه الأوبة إلى تلك المعارف جميعاً، والاستعانة بتلك العلوم كلها ، إذ كل منها يضيء زاوية من زواياه ويكشف شيئا

من خبايا ، وقد كان علماء الإسلام القدامى على وعي كبير بهذا الاستلزام ، فكانوا لا يتوانون عن توظيف نتائج ومناهج العلوم المختلفة واستثمارها من أجل مقاربة النص القرآني وفهمه ، فتعددت مناهج الاستمداد من الوحي، وتنوعت طرائق الاستنباط ووسائل الفهم والتأويل، كل ذلك لأجل إدراك مراد الله عز وجل من خطابه على نحو سديد .

اولاً : التداخل في اللغة والاصطلاح .

التداخُل بضم الخاء مصدر تَداخل بفتح التاء ، والحروف الأصلية لهذه المادة ثلاثة : الدال ، والخاء ، واللام وهي كما يقول ابن فارس " أصل مطرد منقاس وهو الولوج ، يقال : دخل يدخل دخولاً [2]"

قال ابن منظور في مادة دخل،"والدخول نقيض الخروج، ودخل يدخل دخولا، وتّدخل الشيء، أي دخل قليلا قليلا، والمدخل موضع الدخول، وداخلة الرجل باطن أمره، وتداخل الأمور تشابهها، والتباسها، ودخول بعضها في بعض، وتداخل المفاصل دخول بعضها في بعض[3] " والمعنى الذي يعنينا في بحثنا ويكون قريباً من مجال الدراسة هو معنى المشاركة والتفاعل بين أمرين ، وهذا ما أكده تعريف الجرجاني ، حيث قال التداخل عبارة عن " دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم ومقدار[4]"

يتضح من التعاريف اللغوية التداخل بمعنى الولوج ، ودخول شيء في شيء من غير زيادة في المعنى ، كما تدل على تشابه الأمور والتباسها .

ثانياَ : التداخل في الاصطلاح .

التداخل مصطلح من المصطلحات المحدثة الجديدة ، التي لم تكن مستعملة قديماً ، يقول القرافي " التداخل بين الأسباب معناه : أن يوجد سببان مسببهما واحد ، فيترتب عليهما مسبب واحد , مع أن كل واحد منهما يقتضي مسبباً من ذلك النوع [5]"

وعرف الآمدي التداخل " عبارة عن ملاقاة شيء بأجمعه ، لآخر بأجمعه ، ويتبعه كون كل واحد من المتداخلين في مكان الآخر "[6]

يتبين لنا من التعريفات السابقة أنَّ التداخل المعرفي في العلوم الإسلامية هو الإدراك التام الواعي للحقائق المتصلة بالوجود الإلهي والكوني والإنساني، وما ينتظم بها من سنّن، وما ينشأ عنه امن علوم ومعارف، تظهر به الآثار العملية والجمالية للمعرفة في ربطها أجزاء ذلك الوجود وانتظام علاقاته وفق هداية الوحي .

المطلب الثاني

اولاً : التكامل في اللغة والاصطلاح

التكامل المعرفي مركب وصفي يقتضي التعريف بشقية التكامل والمعرفي، تؤكد المعاجم اللغوية أن مادة (ك م ل) تدل على التمام بعد التجزئة ، وتوحي أيضا أن جزء الشيء أو الأجزاء المتعددة للشيء الواحد قد اتحدت وتوحدت

واندمجت واختلطت، وأخذت شكلا واحدا، ولهذا فقد اكتمل وتم[7]، ومنه قوله تعالى(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) [8]، وهذا المعنى يرشدنا إلى المعنى الاصطلاحي للتكامل المعرفي والمعبر عنه إتمام العلوم بعضها لبعض حتى تحصل المعرفة بالشيء معرفة تامة وحسنة، والمقصود من نظرية التكامل المعرفي هنا هي تلك الصورة العلمية المتكاملة للوجود والذات، المتحققة بتفعيل الرؤية الإسلامية في كل مجالات المعرفة، سواء أكانت علوما طبيعية أم اجتماعية أم إنسانية أم شرعية ،عبرّ السيد الصدر قدس سره عن تلك العلوم في تفسير البسملة في سورة الفاتحة " إن علوم الفاتحة في البسملة , وبرّزنا ذلك بأنَّ البسملة متضمنة لأوسع الأسماء وأكبرها وأهمها وهي : الله الرحمن الرحيم ، لان لها نحو هيمنة على سائر المخلوقات ، إذن فهذه العلوم الكثيرة مستنبطة في هذه الأسماء الثلاثة ، ويمكن اندراجها في لفظ واحد ، وهو لفظ الجلالة ، بعنوان كونه دالاً على الذات باعتبار أن الخلق كله دائمٌ وقائمٌ بالله سبحانه ،فحينئذٍ ندرك أنَّ كل علوم الكون في لفظ الجلالة وحده"[9].

ذكر السيد الصدر بأنَّ رؤية العالم الإسلامي تستدعي مشروعاً فكرياً للإصلاح والنهوض الحضاري من ثلاث خطوات ، الخطوة الأولى هي إعادة فهم مصادر الإسلام في ضوء القيم الحاكمة والمقاصد العامة ، ونقد التراث الذي دار في هذه المصادر على أساس تلك القيم والمقاصد ، والخطوة الثانية هي التفاعل الإيجابي مع المعرفة الإنسانية المعاصرة والكشف عمَّا تمثله هذه المعرفة من حقائق الفطرة والسنن والوقائع والطبائع ، تتصف هاتان الخطوتان بطبيعة تحليلية تفكيكية ، أمَّا الخطوة الثالثة فهي صياغة المعرفة الراهنة وإنتاج معارف جديدة ضمن الرؤية الكونية الإسلامية تقوم على التكامل بين هداية الوحي وسنن الفطرة ، وسعي الإنسان لفهم الكون الطبيعي والاجتماعي**(10)**، تتصف هذه الخطوات بأنها ذات طبيعة تركيبية إبداعية ، وهذه الخطوات قادرة لخروج الإنسان المسلم والأمة المسلمة من حالة التخلف وليس ذلك فحسب ، وإنما الانتقال بالإنسان والأمة المسلمة إلى موقع الجد والاجتهاد وتطبيق الاحكام السماوية .

الذي يتضح من خلال ما ذكره السيد الصدر هو تحرير العقل البشري المسلم من خلال تطور فهمي واضح سليم للكون والانسان عبر رؤيه اسلاميه كونيه شموليه ، تعتمد على قراءة متدبره لكتابين متلازمين : كتاب منظور هو الكون بأشيائه و أحداثه و ظواهره وعلاقاته التي ذللت لاستخلاف الإنسان في الارض ، وكتاب مسطور هو القرآن بهديه و علمه وحكمته واحكامه ، يمكن القول بأنَّ التكامل المعرفي عملية نفسية تربوية الهدف منها تحرير العقل المسلم وتنمي دافعية المسلم للتفكر وتحرير العقل والإبداع .

ثانيا : المعرفة لغةً واصطلاحاً .

المعرفة اصلها من الفعل الثلاثي (عرَف) وهي " إدراك الشيء على ما هو عليه ، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولذلك يسمى الحّق تعالى بالعالم دون العارف"[11]، أو هي" إدراك الشيء بتفّكر وتدّبر لأثره، فهي أخص من العلم، لأنها تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتدبر[12]"، وهي تعريفات أقرب إلى إيحاءات آيات القرآن الكريم من التعريف القائل" :هي إدراك ما لصور الأشياء أو صفاتها أو سماتها وعلاماتها ، أو للمعاني المجردة سواء أكان لها في غير الذهن

وجود أم لا [13] " وبذلك تكون المعرفة هي العلم , وقيل لا , إذ المعرفة أخص من العلم ؛ لأنها إدراك الشيء بتفكر وتدبر لآثره .

وفي ضوء ما تقدم يتبيّن أن المعرفة هي عملية إدراك مستندة إلى تفكر تستلزم أن يتحقّق مقصودها بأن تتكامل في تصور الفرد وفق رؤية كلية ، وأن يظهر ما لها من أبعاد عملية وجمالية تزيّن تلك العملية الفكرية في نشاطها الحيوي الطبيعي ، ولا يتم لها ذلك إلا إذا قامت على الوحي الموصوف بالكمال، وانطلقت منه في اكتشاف نواميس الكون وقوانينه وسننه بوصفه المصدر الرئيسي للعلم والمعرفة .

التداخل المعرفي هو الإدراك التام الواعي للحقائق المتصلة بالوجود الإلهي والكوني والإنساني، وما ينتظم به من سنّن، وما ينشأ عنه من علوم ومعارف، تظهر به الآثار العملية والجمالية للمعرفة في ربطها أجزاء ذلك الوجود وانتظام علاقاته وفق هداية الوحي .

المبحث الثاني

مقدمة ما وراء الفقه والتأسيس لتكامل العلوم

يتعرض شرح كتاب الشهيد (قدس سره) لما وراء الفقه لا للفقه نفسه فان للفقه كسائر العلوم ارتباطات بعلوم عديدة ومعلومات كثيرة خارجة عن صيغته الاساسية وهذه هي المادة الخام لهذا الكتاب ، ثم ان معنى الارتباط المأخوذ قيدا في هذه الاطروحة الموضوعية عبارة عن اجتماع حيثيتين :

الحيثية الأولى : العلاقة الثانوية والجانبية بين علم الفقه من جهة والعلوم الأخرى من جهة أخرى ، مع مراعاة الدرجة العالية من تمايز العلوم مع مواضيعها ومعانيها ومشكلاتها وأهدافها المختلفة ، بشرط أن في هذا التمييز يوجد مصدران ، أحدهما مصدر منفصل لبعض المجالات والآخر مصدر متقارب لبعض المجالات ، لذلك هنا يعتبر مصدر التقارب هو السائد في أحد العلمين ونسبة إلى العلم الآخر هو علم ثانوي .

وقد مثل السيد الصدر لهذا المعنى بقوله " فعلم الفلك والفيزياء يلتقيان وكذلك الفيزياء والكيمياء وكذلك الطب والصيدلة وكذلك علم النفس وعلم الاجتماع وكذلك الرياضيات بكل تلك العلوم وكذلك الهندسة بعدد من تلك العلوم وهكذا، وكذلك بالنسبة إلى العلوم الإنسانية فان المنطق يلتقي بالفلسفة والفلسفة بالعرفان ويلتقي الفقه بالعربية ويلتقي علم الأصول بالمنطق وبالفلسفة ويلتقي علم النحو بعلم اللغة ... إلى غير ذلك كثير وإذا بحثنا في الفلسفة كان تعرضنا للمسائل المنطقية مثلا أو النحوية جانبيا أو ثانويا، وإذا بحثنا في الفيزياء كان تعرضنا للفلك أو الكيمياء جانبيا نسبيا وهكذا [14]"

الحيثية الثانية :الثقافة الفقهية العامة المعمقة فهنا هذا الارتباط الماورائي العلمي له دخل في تسمية هذا الكتاب الماورائي الفقهي من حيث ان لعلم الفقه مسائله الخاصة وطرقه الاستدلالية المخصوصة وهذا الكتاب لا يتعرض لهذه المسائل والاستدلالات بنحو تخصصي معروف لدى الفقهاء في هذا الفن، وان كان هناك تعرض تخصصي في بعض القواعد الفقهية علنا نوفق في بحثها، وانما يتعرض هذا الكتاب لمفاهيم تحتاج الى تفاصيل خارجة عن علم الفقه وداخلة في علوم اخرى، ولكنها تتضمن من داخل مسائل علم الفقه قال السيد الصدر(قدس سره)"علم الفقه، وهو العلم الذي يتكفل

بيان الأحكام في الشريعة الإسلامية، والاستدلال عليها، ويعتبر مسيره الأساس هو ذلك أعنى ذكر المسألة أو الفرض، ثم محاولة الاستدلال عليه بالكتاب والسنة، بما فيها القواعد الفقهية والأصولية المستنتجة من ذينك المصدرين نفسيهما، والكتب الاستدلالية في الفقه كثيرة ليس كتابنا هذا منها، وان صادف ان مارسنا الاستدلال فيه في فصول عديدة، إمعانا في إيضاح الفكرة، إلا ان الهدف الأساسي منه ليس هو ذلك .وإنما الهدف الأساسي منه هو التعرض إلى ما سميناه ما وراء الفقه، وهي المعلوم والمعلومات التي تدخل في عدد من مسائله مما هي ليست فقهية بطبيعتها .وإنما تندرج في علوم أو حقول خارجة عن الفقه والتي قلنا قبل قليل أنها مجازا جانبية وثانوية في الفقه، لأنها التفاتا من داخل الفقه أو صلب العلم إلى ما هو خارج عنه[15] "

هنا ذكر السيد (قدس سره) لهذا الارتباط الماورائي الفقهي خمسة عشر مثالا يمكن ان نشير إلى بعض من الأمثلة في أهمية التداخل المعرفي واثره في الاستدلال الفقهي .

المطلب الاول

ارتباط الفقه بالفلك من عدة زوايا منها ضبط الأشهر بحركات القمر وضبط أوقات الصلاة بحركات الشمس

من جملة الاستدلالات التي تطرق إليها السيد الصدر (قدس سره) في ما وراء الفقه امكانية رؤية الهلال من الناحية الشرعية , إذ قال" ان المهم شرعا في بدأ الشهر القمري، إمكان الرؤية، يعني وصول نور الهلال بعد ولادته إلى درجة بحيث يمكن رؤيته بالعين المجردة وليس مهما ان يرى فعلا لوجود بعض الموانع كالسحاب وغيره, فإذا ثبت بأي دليل حجة ومعتبر شرعا وجود الهلال بهذه الكيفية ، كفى في ثبوت الشهر القمري, واما الاستدلال الفقهي على ذلك فليس هذا محله ولعلنا نعطي عنه بعض الأفكار في المستقبل[16]".

ثم أن السيد الصدر (قدس سره) قد اعطى سببا تحليليا لظاهرة التطويق وحاصله ان يقال الجانب المضيء من القمر الذي هو بمنزلة النهار فيه تكون أوسع من الجانب او الجرم المظلم الذي هو بمنزلة الليل فيه بحيث يمكن ان يكون حول رقعة الضوء في القمر مسافة نصف مضيئة تكون بمنزلة الشفق عند الغروب أو عند الشروق في الأرض ,فهنا يتضح تفسير التطويق باعتبار وجود نوري الهلال والتطويق ولكننا عبر الأرض نرى النور واضحا من احد الجانبين وهو نور الهلال بينما نرى نور التطويق من الجانب الآخر, قال (قدس سره) "فهذا أقصى التحليل الذي يمكن التوصل إليه للتطويق .ولم يوجد في كتب الفلكيين سب معرفتي أي تعرض له ولا لسببه إلا ان فيما ذكرناه درجة كافية جدا من المنطقي[17] "

حيث ان التساؤل عن بعض أحوال القمر هناك جملة من التساؤلات حول بعض احوال والقمر ولكن السؤال الرئيسي في المقام الأول وخاصة في المسائل الشرعية لماذا يمكن رؤية لون الوجه المظلم للقمر أحيانا وعدم امكان رؤيته أحيانا أخرى ؛ والجواب العلمي على هذا التساؤل هو حصول عملية انعكاس نور الارض على القمر ورجوع الضوء من القمر الى الارض، فان ضوء نهار الأرض ان انعكس على القمر أمكن رؤية القمر، وان لم ينعكس هذا الضوء لم يمكن رؤية القمر على تفصيل موكول في معرفة ظاهرتي الخسوف والكسوف قال(قدس سره) " تعود مجموعة من هذه

التساؤلات عن لون الوجه المظلم انه لماذا نستطيع رؤيته احيانا ولم نستطيع ذلك احيانا اخرى والجواب الاعتيادي والسائر علميا عن ذلك ما سمعناه بالضبط في جانب الخسوف حيث قالوا ان الضوء الذي يجعل القمر ممكن الرؤية في الخسوف إنما هو من انعكاس نور الأرض على القمر، وعوده من القمر إلى الأرض لكي نراه فكذلك الأمر في الجانب المظلم من القمر، فان ضوء نهار الأرض ان انعكس عليه رأيناه وان لم ينعكس لم نره, وهذا هو الذي يفسر رؤيتنا له خلال النهار في عدد من الأحيان [18].

المطلب الثاني

ارتباط الفقه باللغة من زاوية فهم المفردات اللغوية الواردة في الكتاب والسنة

أهم صفة طبعت على شخصية الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره) ، تكاملها المعرفي ، فلم تكن أحادي البعد ، ولم يظهر فيه بعد على حساب الآخر ، و لا يزال الإبداع هو السمة التي تصاحب هذه الأبعاد ، وتكامل الشخصية ينتج منهج تكامل علمي على أصعدة عديدة , وامتداد وتكافؤ يتبعه علماء الخط الأمامية بالنسبة للسيد صدر ، أوضح علامة على التكامل المعرفي هو أنه دمج بين العلوم الدينية والفلسفة والأخلاق والتاريخ والعلوم الأخرى ، والتفكير باستخدام أدوات علم الأصول ؛ وجعل الأحكام الثانوية متوافقة مع التطورات الحالي , وادى هذا التكامل بين الحقول المعرفية إلى تمازج بين المصطلحات والأفكار، وتفاعل بين المناهج ، منهج السيد الصدر في التكامل المعرفي كان على مستويات وأصعدة عديدة , نبيّن منها .

على الصعيد اللغوي وبعبارة أدق في مباحث الألفاظ فهي المبنى الحقيقي لاستنباط الأحكام الشرعية من القواعد المشتركة، استعمل السيد الصدر القواعد الأصولية في عملية استنباط المعنى من النص سواء كان كتابا أو سنة , ومن تلك القواعد هي(زمن الفعل ومدلول المادة أو الهيأة فيه) المشتقات بعمومها بما فيها الأفعال قد وضعت بوضعين : وضع المادة , ووضع للهيأة ، فأما المادة فإنها موضوعة لطبيعة الحديث المهملة ، وهذا هو القدر المتيقن من وضع المشتقات ، إذ خلاف فيه بين النحويين[19] والأصوليين[20] ، وإنما وقع الخلاف في مدلول الهيأة الاشتقاقية أو بعبارة أخرى في مدلول هيئات الأفعال عند الأصوليين , فهل تدلّ هيأتها على الزمان كما يقول السيد أم على نسبة الحدث إلى فاعل ما ، كما هو رأي غيره من الأصوليين[21] ، إذ لا دلالة له على الزمان لأن " كون الزمان جزءاً لمدلول الأفعال باطل يقيناً , لأنها لا تدل عليه مادة ولا هياة أما بحسب المادة فظاهر ، لأنها لا تدل الا على الطبيعة المهملة نفسها غير مأخوذ فيها آية خصوصية فضلاً عن الزمان ، وأما بحسب الهيأة فقد تقدم : أن مفادها نسبة المادة إلى الذات على نحو من أنحاء النسبة ، فالزمان أجنبي عن مفاد الفعل مادة وهيأة [22]" ناقش السيد الصدر (قدس سره) هذا الدليل في جوابين .

أن قولهم بدلالة الهيأة على نسبة إلى الذات أشد من إنكارهم الدلالة الزمانية للأفعال لأنهم ما أنكروا هذه الدلالة إلا للتمهيد من أجل الحكم بعد ذلك على بساطة المشتقات ، أي أنها لا تدل على الذات وإنما على الحدث ، وعلى هذا لا يصح قولهم

بدلالة الهياة على نسبة المادة إلى الذات في المشتقات عموماً ، ودلالتها في الأفعال على نسبة المادة إلى الفاعل ، في حين أن ببساطة المشتقات ينفي وجود الذات لخروجها عن مداليل المشتقات مادة وهيأة [23].

ان المصدر واسم المصدر مع ان هيأتهما اشتقاقية لا دلالة لهما على الذات جزماً [24]، في حين أنهم يدعون بدلالة هيأة المشتقات على النسبة إلى الذات .

إذن الفعل دال على الزمان بالدلالة الإلتزامية لا المطابقة كما يرى السيد الصدر أي ان الزمان داخل في مداليل الأفعال تقييداً أو شرطاً لا قيداً ، يعني أنه مقيد بالزمان وليس الزمان ذاتياً لها .

وهو مدلول الهيأة لا المادة لان الهيأة (موضوعة لمعنى التقيد بالزمان) [25] أي أن الزمان ليس ذاتياً للأفعال على مذهب السيد الصدر خلافاً لابن يعيش (ت 643 ه) [26] الذي يقول بالدلالة الزمانية الذاتية للأفعال، في حين رفض السيد الخوئي (ت 1413ه) دلالة الفعل الزمانية سواء أكانت بنحو القيد أو التقيد " وذلك لأن دلالة الافعال عليه لا بد أن تستند إلى أحد أمرين : أما إلى وضع المادة أو إلى وضع الهيأة ، ومن الواضح أن المادة وضعت للدلالة على نفس طبيعي الحدث , والهيأة وضعت للدلالة على تلبس الذات به بنحو من أنحائه كما عرفت ، وشيء منهما لا يدل عليه [27]".

وينبغي الإشارة إلى أن مدلول هيأة الفعل ليس مطلق الزمان كما يفهم من كلام السيد الخوئي، بل هو حصة زمانية معينة ، كما يرى السيد الصدر ، لان التفريق بين الفعل الماضي والمضارع سيكون عسيراً على القول بالإطلاق ، سيّما مع إخراج فعل الأمر عن دائرة الفعلية , مثلما أنه عسير على منكري الدلالة الزمانية للفعل ، خاصة مع استعمال احدهما مكان الآخر[28] ، الذي أنكره السيد الخوئي[29] .

هيأة الماضي تدل على الزمان الماضي وهيأة المضارع تدل على الوقوع في المستقبل مع عدم القرينة التي تعيّن زمان الفعل الحاضر ، وقد اختار السيد الصدر[30] هذا الرأي موافقاً به المذهب النحوي . ذلك لان الفعل المضارع موضوع للمستقبل الأعم من القريب والبعيد ، والقرائن هي التي تحدّد الحصة الزمانية للمستقبل القريب ، القريب تحدّده (السين) والبعيد (سوف)، ومن هنا عرض السيد الصدر بعض الآيات القرآنية خرجت دلالتها الزمانية من الماضي إلى المضارع [31] قوله (اقتربت الساعة وانشق القمر) [32] وقد استدل على ذلك بمثال فقهي يتضمن هذا الخروج نحو قولهم : من ضحك في صلاته أعاد[33] ، ومن المضارع إلى الماضي نحو قوله تعالى (إذ يقول لصاحبه) [34] وقوله تعالى (أذ يقول المنافقون

والذين في قلوبهم مرض) [35] توجيه هذه الآيات بناءً على رأي السيد الصدر أنها مجاز اقترنت بالقرينة , للتأكد على حتمية ما وقع (اذا اريد استحضار صورة الماضي فأنه يحسن حينئذ عرضه في صيغة المضارع) [36]، ان كان الحديث عن الأحداث السالفة ، وحتمية ما سيقع ان كانت تتحدث عن وقائع مسقبلية ، لا سيما اذا كان القرآن يخبر عما سيحصل في يوم القيامة [37].

نتائج البحث

تبين من خلال البحث ان المنهج الذي اعتمده السيد الصدر منهج فكري علمي استدلالي يحتمل الفكري البشري بشكل عام ولا يقتصر على الفكر الإمامي أو الفكر الإسلامي فقط وهو ليس معتقد أو متبنى لطارحه بل هو أفكار محتملة على نحو النظرية القابلة للمناقشة .

يتبين من خلال البحث حكم العلاقة الثانوية والجانبية بين علم الفقه من جهة والعلوم الأخرى من جهة أخرى ما يسمى بالتكامل المعرفي ، مع مراعاة الدرجة العالية من تمايز العلوم مع مواضيعها ومعانيها ومشكلاتها وأهدافها المختلفة ، بشرط أن في هذا التمييز يوجد مصدران أحدهما مصدر منفصل لبعض المجالات والآخر مصدر متقارب لبعض المجالات ، لذلك هنا يعتبر مصدر التقارب هو السائد في أحد العلمين ونسبة إلى العلم الآخر هو علم ثانوي .

يتبين من خلال البحث حكم العلاقة الثانوية والجانبية بين علم الفقه من جهة والعلوم الاخرى من جهة أخرى ما يسمى بالتكامل المعرفي ، مع مراعاة الدرجة العالية من تمايز العلوم مع مواضيعها ومعانيها ومشكلاتها وأهدافها المختلفة ، بشرط أن في هذا التمييز يوجد مصدران أحدهما مصدر منفصل لبعض المجالات ، لذلك هنا يعتبر مصدر التقارب هو السائد في أحد العلمين ونسبة إلى العلم الآخر هو الثانوي .

الهوامش:

(1) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس , 2|35 .
(2) لسان العرب ، ابن منظور ، 11|293 .
(3) التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للطباعة والنشر ، ص 49
(4) الفروق ، أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان , 2|29 .
(5) المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، سيف الدين الآمدي ، تح: حسن الشافعي , القاهرة 1403ه ، ص 97 .
(6) معجم مقاييس اللغة , ابن فارس , 5|139
(7) سورة المائدة ، آية 3 .
(8) منة المنان في الدفاع عن القرآن ، محمد الصدر ، تح : مؤسسة المنتظر لأحياء تراث ال الصدر ، ط١ : ١٤٣٢ه – ٢٠١١م ، ٧٣/١ .
(9) بتصرف ينظر منة المنان في الدفاع عن القرآن ، محمد الصدر ، تح : مؤسسة المنتظر لأحياء تراث ال الصدر ، ط١ : ١٤٣٢ه – ٢٠١١م ، ٧٣/١
(10) التعريفات , الجرجاني , ص149 .

(11) المفردات في غريب القرآن ، ابي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) , مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر ، ص 431 .
(12) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حسن الميداني ، دار القلم للطباعة والنشر : دمشق ، ط4: 1414ه – 1993م ، ص123
(13) ما وراء الفقه , السيد الصدر . 1|10 .
(14) المصدر السابق ، 1|11 .
(15) المصدر نفسه ، 2| 117 .
(16) المصدر نفسه ، 2| 117 .
(17) المصدر نفسه ، 2| 135 .
(18) ينظر الخصائص ، عثمان بن جني , تح : محمد علي النجار، (دط)، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، (د ط) , ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م , 3|100 , وينظر شرح المفصل , يعيش ابن علي بن يعيش النحوي , ادارة الطباعة المنيرية – مصر , (د.ط) , (د.ت) , 2|7 , وينظر الزمن في النحو العربي , كمال إبراهيم بدري , دار أمية للنشر والتوزيع – الرياض , ط1 : 1982م , ص59 , وينظر البحث النحوي عند الأصوليين , مصطفى جمال الدين , منشورات وزارة الثقافة والأعلام – العراق , دار الرشيد للنشر , (د.ط) , ص143 .
(19) ينظر مقالات الأصول , ضياء الدين العراقي , تح : محسن االعراقي , مجمع الفكر الإسلامي , مطبعة شريعت – قم , ط2: 1422ه , 1|252 , وينظر أجود التقريرات , تقريرات الشيخ النائيني , أبو القاسم الخوئي , منشورات مصطفوي – قم , ط2: 1368ه , 1|62 , وينظر الرافد في علم الأصول , محاضرات السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) , دار المؤرخ للطباعة والنشر : بيروت – لبنان , ط1: 1414ه – 1994م , ص272 .
(20) ينظر منتهى الاصول , حسن البجنوردي , مطبعة مؤسسة العروج : قم – ايران , ط1: 1421ه , ص39 , وينظر مقالات الأصول , ص1|110
(21) محاضرات في اصول الفقه , تقريرات بحث السيد ابو القاسم الخوئي , محمد اسحق الفياض , مؤسسة االنشر الإسلامي , ط1: 1419ه , 1|259
(22) ينظر منهج الاصول , محمد محمد صادق الصدر , مؤسسة إحياء الكتب السماوية : قم – ايران , ط1: 1427ه , ج2|ق1 : ص 50 .
(23) المصدر السابق نفسه , ص 50 .
(24) المصدر السابق نفسه , ص 50 .
(25) شرح المفصل , يعيش ابن علي , 4|7 .
(26) محاضرات في اصول الفقه , محمد اسحق الفياض , ص259- 260
(27) منهج الاصول , محمد محمد صادق الصدر ، ص50 .
(28) محاضرات في اصول الفقه , محمد اسحق الفياض , 1|260 .
(29) منهج الاصول , محمد محمد صادق الصدر , ج2ق1:ص54 .
(30) المصدر السابق نفسه , ج2ق1: ص52
(31) سورة القمر , آية 1 .
(32) منهج الاصول , محمد محمد صادق الصدر , 3|28 .
(33) سورة التوبة , آية 40 .
(34) سورة الانفال , آية 49 .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(1) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)ت : 395 , تحقيق : عبد السلام محمد هارون , سنة الطبع : 1404 , المطبعة : مكتبة الإعلام الإسلامي , الناشر : مكتبة الإعلام الإسلامي

(2) لسان العرب ، ابن منظور الوفاة : 711 , سنة الطبع : محرم 1405 ,الناشر : نشر أدب الحوزة

(3) التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للطباعة والنشر ،

(4) الفروق ، أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان .

(5) المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، سيف الدين الآمدي ، تح: حسن الشافعي , القاهرة 1403ه ،

(6) منة المنان في الدفاع عن القرآن ، محمد الصدر ، تح : مؤسسة المنتظر لأحياء تراث ال الصدر ، ط١ : ١٤٣٢ه – ٢٠١١م

(7) المفردات في غريب القرآن ، ابي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) , مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر.

(8) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حسن الميداني ، دار القلم للطباعة والنشر : دمشق ، ط4: 1414ه – 1993م

(9) ما وراء الفقه , السيد الصدر . 1|10 .

(10) الخصائص ، عثمان بن جني , تح : محمد علي النجار، (دط)، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، (د ط) , ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ,

(11) شرح المفصل , يعيش ابن علي بن يعيش النحوي , ادارة الطباعة المنيرية – مصر , (د.ط) , (د.ت) ,

(12) الزمن في النحو العربي , كمال إبراهيم بدري , دار أمية للنشر والتوزيع – الرياض , ط1 : 1982م ,

(13) البحث النحوي عند الأصوليين , مصطفى جمال الدين , منشورات وزارة الثقافة والأعلام – العراق , دار الرشيد للنشر , (د.ط) , .

(14) مقالات الأصول , ضياء الدين العراقي , تح : محسن االعراقي , مجمع الفكر الإسلامي , مطبعة شريعت – قم , ط2: 1422ه ,

(15) أجود التقريرات , تقريرات الشيخ النائيني , أبو القاسم الخوئي , منشورات مصطفوي – قم , ط2: 1368ه , 1|62

(16) الرافد في علم الأصول , محاضرات السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) , دار المؤرخ للطباعة والنشر : بيروت – لبنان , ط1: 1414ه – 1994م ,

(17) منتهى الاصول , حسن البجنوردي , مطبعة مؤسسة العروج : قم – ايران , ط1: 1421ه ,

(18) محاضرات في اصول الفقه , تقريرات بحث السيد ابو القاسم الخوئي , محمد اسحق الفياض , مؤسسة االنشر الإسلامي , ط1: 1419ه .

(19) منهج الاصول , محمد محمد صادق الصدر , مؤسسة إحياء الكتب السماوية : قم – ايران , ط1: 1427ه .